هشام عواضه



الضحك

يدخل البهجة على النفوس
ويبعث البشاشة فى القلوب
فاعرف الضحك.. واضحك

الدار الذهبية

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع
القاهرة ـ تليفون ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . .

وبـعــــد :

فمجرد الحديث عن الضحك يدخل البهجة على النفوس ، وينعش البشاشة فى القلوب ويرسم الابتسام علي الشفاة التى هى مقدمة ضرورية للضحك !!

ورغم ما يبعثه الضحك فى حياتنا من سعادة ، وما يصبغها به من راحة وخفة ، وما يؤديه من دور هام وحيوي لاستمرار فاعليتها ، إلا أنه لم يلق عليه الضوء بدرجة كافية تكافيء مكانته فى النفوس التى تتشوف إليه وتنجذب نحوه وتستزيد منه .

ورغم اشتراك الشعوب كافة فى حبهـا للضحك – وتفاوتهم فى ذلك – إلا أن أجدادنا العرب كانوا من أشد الشعوب حباً للضحك والضــاحكين ، فسمُّوا أولادهم بـ « الضحــاك » ، و « بــســام » ، و « طلق » ، و « طليق » .

وكـانوا إذا مـدحـوا رجـلا قـالوا : « هو ضـحـوك السن ، وبسـام العشيات[1] ، وهَشٌّ إلى الضيف » .

وكـانوا إذا ذمـوا رجـلاً قـــالوا : « هو عبـوسٌ ، وهو كـالحٌ[2] ، وهـــو قطوب[3] ، وهـــو شتيم المحيا [4] ، وهـــو مكفرٌ[5] ، وهو كريه

(١) بسام العشيات : كناية عن كرمه وترحيبه بالضيوف ، إذا جاءوا عشاءً لتناول العشاء .

(٢) كالح : عابس مظلم .

(٣) قطوب : زاو ما بين عَيْنيه ، مشدود الوجه .

(٤) شتيم المحيا : كريه الوجه .

(٥) مكفر : عابس أسود .

ومقبض الوجه[1]، وهو حامض الوجه، وكأنما وجهه بالخل منضوح» !!

وكانوا يفخرون بالهشاشة والضحك والفكاهة .

واشتهرت بينهم الشخصيات المضحكة كأشعب الطفيلى ، وجحا الضاحك المضحك .

وكان للظرفاء مكانة مرموقة فى بلاط الخلفاء ، فضلاً عن الندمان والمضحكين .

وكذلك أفردوا للنوادر والفكاهات والملح مؤلفات كاملة مثل : البخلاء ، أخبار الحمقى ، مضحك العبوس ، أخبار الظراف ، أشهر الطرف . . . إلخ .

فضلاً عن مئات المؤلفات التى أفردوا فيها فصولاً عن الطرف والمضحكات .

ومع التطور والتقدم لا يمكن أن نقنع بما كان يقنع به أجدادنا العرب من حب للضحك وممارسة له وتحري بواعثه فحسب ، وإنما علينا – ونحن فى عصر العلم – أن نتعرف على معانيه المختلفة ، ودرجاته وأنواعه وسماته . . . إلخ .

ومن هذا المنطلق كان هذا الكتاب .

محاولة جادة لدراسة الضحك .



(١) مقبض الوجه : مقطب .



لما كان العرب محبون للضحك مشغوفون بالفكاهة ، فقد نحتوا له في لغتهم الكثير من الألفاظ التى تعبر عن دقائقه وجوانبه ومعانيه ، وكذلك فعلوا مع كل ما يرتبط به أو يجلبه حتى صار اللسان العربى لسانا ضاحكا بحق .

وإن نظرة عابرة على قعدات الأزهريين ، أو على ندوة أدبية أو شعرية أو على مناظرة لغوية .. لتعبر أصدق تعبير عن ضحك هذا اللسان وضحك أهله .

وقد تحريت « معانى الضحك » فى مظانها من كتب العربية ، واستقصيت ما وسعنى الاستقصاء عنها ، واقتصرت على بيان معنى اللفظ الخاص بالضحك وما يتعلق به ، إن كان اللفظ يعبر عن أكثر من معنى .

وقد أوردت الألفاظ ومعانيها حسب ترتيبها الأبجدى فى القاموس ، وأوضحت ما غمض منها ، وعرّفت ما قد يحتاج إلى تعريف . . ولم أتجاهل الألفاظ الأعجمية التى دخلت وأخذت مكانها وترددت على الأفواه وفى الكتابات المختلفة ، وثبت مدلولها . . كالتالى :

الاسكتش (أعجمية) : مشهد تمثيلى ضاحك (نكتة ممثلة) .

الأشاش : هو النشاط والخفة ، وفى الحديث : « أن علقمة بن قيس إذا رأى من أصحابه بعض الأشاش وعظهم » .

أهلاً وسهلاً ومرحباً : أى صادفت أهلاً لا غرباء ، ووطئت سهلاً لا وعراً ، ووجدت سعة ورحباً لا ضيقاً ، وهى صيغة ترحيب يصحبها البشر .

والابتسام :

الانبساط : يقال بسيط الوجه أى متهلل ، ومنه البسط والبسطة .

بَسَمَ : ضَحِك قليلاً من غير صوت ، والتبسم والابتسام دون الضحك ، وهو تعبير صامت عن السرور بالفم ، ورجل مبسام ، وبسام : كثير التبسم ، والمبسم : الثغر .

بَشّ : البشاشة طلاقة الوجه ، وبش بشاً وبشاشة كان طلق الوجه ، وبشبش الرجل : أظهر البشاشة ، وتبشبش به : آنسه وواصله .

بَشَرَ و وبَشِرَ ، وأَبْشَرَ واستبشر به : سُرَّ .

بَشَّره : فرحه وبلغه البشرى .

البِشْر : بشاشة الوجه ، البشير : مبلغ البشرى ، البشارة : الخبر المفرح .

بلج : يقال بلج صدره أى انشرح ، وبَلَجَ الرجل : صار طلق الوجه وتبلج : ضحك وهش ، والبلْج والتبلُّج : الطلق الوجه ، والأبلج : المضىء المشرق الوجه .

بهج : بهج به فرح وسر ، وأبهجه : أفرحه ، البهجة : السرور ، وأيضا البهجة : الحسن والنضارة .

بيّا : عند الأصمعى بيّا أى أضحك ، وفى الحديث : « حياك الله وبياك » أى اعتمدك بالتحية وأضحكك .

جذل : الجذل الفرح ، وأجذله ، أفرحه ، وجذلان : فرحان .

الخزعبيلة : ما أضحكت به القوم ، والخَزَعْبَل ، والخُزَعْبَل ، والخُزَعبل : الأحاديث المستظرفة الباطلة .

والخُزَعْبَلة : الفكاهة والمرح .

الخفّة : ضد الثقل وهو خفيف الروح أى رقيق العشرة ، وهو خفيفَ القلب أى ذكى ، والخُفاف : الخفيف القلب المتوقد ، وهو خفيف الدم أى ظريف مضحك ذو دعابة .

الدَدُ : اللهو واللعب ، والدَدَا : اللعب .

الدعابة : هى المزاح واللعب والمضاحكة ،وهى أخف ألوان الفكاهة فهى فكاهة الابتسام الخفيف لا الضحك العالى .

الدغدغة : هى الزغزغة فى العامية ، وتعرف فى بعض البلاد العربية بـ : الزكزكة ! وهى تجميش فى مواضع من البدن كأخمص القدم والإبط بالأصبع أو بجسم لين يهيج له الضحك .

الرَّوْح : الفرح ، والرَوَاح والرَوَاحة والرَويحة : وجدانك السرور الحادث عن اليقين ، وارتاح : سر ونشط ، والأرْيحى : الواسع الخلق النشيط إلى المعروف .

الزأططة (الزقططة) : (عامية) ومعناها شدة الفرح .

الزغردة (الزغرطة) : صوت يصدر من الفم (لقلقة) بوضع الأصبع فى الفم وتحريك اللسان ، وتفعلها النساء لإعلان السرور ، والشعور بالفرح .

الزهزقة : الضحك الشديد ، وزهزق الرجل ضحك شديداً .

سبهللا : جاء الرجل يمشى سبهللا، إذا جاء وذهب فى غير شىء .

السّخرية : هى ضحك أقرب إلى الشماتة والهزء ، وسخر : هزىء ، والغرض منها الحط من قدر المسخور منه ، والسُخْرة : من يسخر به ، والسُخرَة : الساخر ، والمسخرة (عامية) : ما يسخر منه .

السعادة : ضد الشقاوة ، و « لبيك وسعديك » بالتثنية أى أسعدك إسعاداً بعد إسعاد ، والسُعَادَى :طيب له منفعة فى إدمال القروح ، والسعادة أيضا : اليُمْن الذى هو ضد الشؤم .

السلوان : دواء يسقاه الحزين فيسلوا ، والأطباء يسمونه المُفَرِّح ! وسَلَى الشيء : نسيه وطابت نفسه عنه ، وسلّى عنه هَمّه : كشفه وأزاله ، وفى سلوة من العيش : أى فى رغد منه .

الضحك : ضد البكاء ، يقال : ضحك منه وبه وعليه ، أى انبسط وجهه بحيث تظهر الأسنان .

يقال : افترّ عن ضواحكه أى أسنانه .

والضُحُكَة والضَحّاك والضحوك والمضحاك : الكثير الضحك .

والأضحوكة : ما يضحك منه .

الطرفة : هى الحديث الجديد المستملح ، وطوارف القرائح هى مستظرفات الخواطر ومستحدثاتها ، والطريف : الغريب النادر .

الطَلْق : رجل طلق الوجه هو الذى أطلقه من أسار الهم ، وخلّى سبيله من الحزن !!

الطَنْز : السخرية ، وطنّاز : الساخر ، وطنز به : سخر ، وتطانز القوم : سخر بعضهم من بعض ، [وقيل : معرب] .

طاب : لَذَّ وجاد وحلا وحسن ، والطيب ضد الخبيث ، والطوبى : الغبطة والسعادة ، وطايبه : مازحه ولاعبه ، وتطيب : تعطر ، وبلدة طيبة : آمنة كثيرة الخير .

الظرف : الكياسة والحذق والبراعة ، وظَرُف : إذا كان كيِّساً حسن الهيئة أو كان ذكياً بارعاً ، والظريف : يطلق على الشخص الفكه الموهوب البارع فى إلقاء ، وهو شخص يمتلك الإحساس الفكاهى ويعرف عند العامة بـ « خفيف الدم » !!

الغبطة : حسن الحال والمسرة ، واغتبط : كان فى مسرة وحسن حال ، ومنه الدعاء : « اللهم غبطاً لا هبطا » أى نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا .

الفَرَج : من الغم ، تقول فَرَجَ الله غمه تفريجاً وفرّجه : أى كشفه وأذهبه ، والفرجة : الخلوص من الشدة والهم .

الفَرَح : السرور ، وفرح بالشيء : انشرح صدره وسُرّ ، والفَرُوح : ذو الفرح ، والمفراح : الكثير الفرح ، والمفروح : المسرور .

والفرفحة (عامية شامية) والفرفشة (عامية مصرية) بمعنى الانتعاش والسرور .

الفكاهة : المزاح ، والرجل فَكِهٌ إذا كان طيب النفس مزّاحا ، يقال : فكههم بملح الكلام أى أطرفهم ، وتفكه : أكل الفاكهة !! وتفكه بالشيء : تلذذ وتمتع .

والفاكه : ذو الفكاهة وأيضاً صاحب الفاكهة ، والفكاهة والفكيهة: اسم من التفكيه والمزاح وما يتمتع به من حديث وسواه .

وتعرف الفكاهة بأنها :كل باعث على الضحك من فنون القول وإن اختلف الاسم .

القصف : الجلبة والإعلان باللهو ، أو الإقامة فى الأكل والشرب واللهو ، وهو صوت المعازف ، والمقصف : محل الأكل والشرب واللهو ، (وقيل معرب) .

القهقهة : فى الضحك معروفة ، وهى أن تقول : قه قه !! وهى شدة الضحك .

الكاريكاتير (أعجمية) : كلمة مشتقة من أصل لاتينى معناها رسم يغالى فى إبراز العيوب ، وهو ضرب من الفكاهة يعتمد على الرسم الساخر بخطوطه وظلاله وألوانه .

التكتكة : كتكت الرجل ضحك دون القهقهة .

الكركرة : كركر الرجل ضحك ، وكركر فى الضحك : أغرب .

الكوميديا (أعجمية) : مشتقة من أصل يونانى بمعنى المرح الصاخب ، وتطور معناها إلى الضحك الصادر عن تفكير ومقترن بالمرح والخفة والظرف والتماكر على خشبة المسرح أو على الشاشة أو فى الإذاعة .

اللطيفة : النكتة إذا كان يحدث لها نوع من الانبساط ، وخاصة النوع الراقى من النكت .

اللوذعى : الظريف ، الذكى الذهن ، الحديد الفؤاد ، كأنه يلذع من ذكائه ، واللوذعى أيضا الحديد الفؤاد .

المرح : شدة الفرح والنشاط ، وتجاوز الحد إلى الاختيال والتبختر !! والتمراحة : الكثير النشاط والخفة .

ومرحى : لفظ مدح وتشجيع بمعنى « براڤو » .

المَزْح والمزَاح : نقيض الجد ، وهو خطوة بعد الدعابة فى درجات الإضحاك فهو ابتسامة عريضة تحَمل البهجة والمرح .

المُلْحَة : من الأحاديث مالَذّ منها ، وملُحَ : حسن وبهج منظره فهو مليح . ومُلاح وملَاح .

الأملـوحة : الكلام الحسن المستملح ، ومن معانيها : « النكتة » .

النادرة : الشىء النادر هو القليل الوجود ، يقال : ندر الكلام ندارة أى فصح وجاد ، وفلان يتنادر علينا : إذا حدثنا بالنوادر .

والنوادر : السواقط ، فهى سقطات لأبطالها ، وهى الفكاهات المروية التى انفصلت عن السلوك المعتاد ، فالنوادر هى كل ما فيه طرافة تبعث على الابتسام أو الضحك ، وهى عبارة عن خبر قصير أو قصة قصيرة بها مفارقات ضاحكة .

النكتة : هى فكاهة المجالس ، ولابد لها من سرعة بديهة وخفة روح ، وهى الأملوحة وهى النادرة ، وتتمثل فى جملة لطيفة تؤثر فى النفوس انبساطا ، ويعرفها البعض بأنها : (فن من أوجز فنون القول يثير نفس السامع فجأة للطرب فيضحك) .

الهذر : هو الهذيان ، وأهذر فى كلامه : أكثر ، والهزار (عامية) : المزاح .

الهزل والهزالة : الفكاهة ، والهزل هو الاستغراق فى المغالطات حتى تصير لا منطقية خالصة ، وفيه إلغاء للعقل وتخليط فى التدرج المنطقى للموضوع .

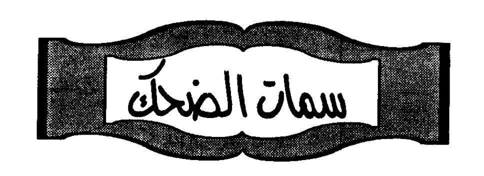
الهزة : النشاط والارتياح ، يقال : تهزهز إليه قلبى أى ارتاح للسرور وهش .

الهشاشة : الارتياح والخفة ، وهش : تبسم ، وخف للمعروف ، ورجل هشّ بشّ ، وهششه : نَشَّطَه وفرّحه ، هش به : فرح به .

هَنِيءَ : فرح ، والتهنئة ضد التعزية ، و « ليهنئك الولد » أى ليسرك ، وهنؤ : صار هنيئاً أى تيسر من غير مشقة ولا عناء.

وشواش : الوشوشة كلام فى اختلاط ، ورجل وشواش أى خفيف .





السمة الأولى : بواعث الضحك لا نهائية :

بمعنى أن الضحك غير محدود الموضوعات ، وأن مسببباته وبواعثه لا حدود لها لأن موضوعاتها هى موضوعات الحياة بكل ما يعتمل فيها من أحداث ومواقف ومشاكل ، وأفكار ، وعقائد ، وثقافات .

ومعنى ذلك أنه لا يمكن عمل إحصاء أو حصر لموضوعات الضحك ، وبالتالى لا يمكن تحديد بواعثه ولا أسبابه ، ولا يمكن عمل إطار لا تخرج عنه ، ولا يمكن جدولتها وإنما يولد الضحك تلقائياً ثم يولد عنه من ذاته وهكذا .

وكل جزئية من جزئيات الحياة قابلة للإضحاك ، وكذلك كل كلية من كلياتها .

السمة الثانية : تنوع الضحك (تعدده) :

فرغم أن المظهر الإنفعالى الخارجى فى حالة الضحك لا يختلف إلا من حيث الدرجة (شدة الضحك) إلا أنه يخفى وراءه « ضحوك » عدة وليس ضحكا واحداً :

فهناك ضحك السرور والرضا .

وهناك ضحك المرح والطرب .

وهناك ضحك العطف والمودة .

وهناك ضحك الإعجاب .

وهناك ضحك الدهشة والمفاجأة .

وهناك ضحك التهكم والسخرية .

وهناك ضحك الشماتة والعداوة .

وهناك ضحك المكر والخديعة .

وهناك ضحك الفجور والعربدة .... إلخ

السمة الثالثة : الضحك صفة فطرية :

بمعنى أنه غير مكتسب ، وإنما هو إحدى الفطر التى فطر الله الناس عليها بالتعبير القرآنى ، وهو إحدى غرائز الإنسان بالتعبير النفسى عند علماء النفس .

وهو ككل سلوك فطرى يثبت بالعادة ويقوى بالممارسة ، وتستثيره أسباب وبواعث .

وقد قرر معظم علماء النفس أن الضحك غريزة لها جميع خصائص الغرائز الأصيلة عند الإنسان .

ويدللون على ذلك باشتراك الناس جميعا بكل أجناسهم وفى كل زمان ومكان وعلى اختلاف أوطانهم وألسنتهم وألوانهم وثقافاتهم وطبقاتهم . . . إلخ . فى الضحك ، لا فرق فى ذلك بين بداة ومتحضرين ، ولا بين مجهال وعلماء ، ولا بين صغار وكبار . . . إلخ .

السمة الرابعة : إنسانية الضحك :

فكما يمكن أن نطلق على السمة السابقة العبارة الشهيرة :

« الإنسان حيوان ضاحك » فإننا يمكن أن نطلق على هذه السمة عبارة قريبة الألفاظ من العبارة السابقة هى : « الإنسان حيوان يضحك » .

بمعنى أن الإنسان لا يضحك إلا عن موضوعات إنسانية ، أى موضوعات يكون الإنسان بطلاً لها ، أو موضوعات تتعلق بالإنسان .

بعبارة أخرى : الإنسان لا يضحك إلا عن موضوعات تتعلق بالإنسان مباشرة ، أو متعلقة به بطريقة غير مباشرة .

فالإنسان لا يضحك على الجماد مطلقاً ، ولا على النبات مجرداً ، ولا على الحيوان .

ولكى يضحك الإنسان على أى من الأشياء الثلاثة يجب أن يكون العنصر الإنسانى مرتبط بها سواء ذهنياً أو تخيلياً أو مادياً .

مثال : الإنسان لا يضحك على حيوان كالقرد إلا حينما يحاكى الإنسان ويقلده فى سلوك من سلوكياته كتودده إلى أنثاه ، أو تقليده فى أكل الموز أو الفول السودانى ، وكذلك يضحك على القردة إذا ألبسوها « جونلة » مثلا !!

السمة الخامسة : اجتماعية الضحك :

وهى سمة مرتبطة بالسمة السابقة ، بمعنى أن الإنسان لا يضحك وحده – كأصل عام – وإنما يمكن أن يعبس وحده أو يفكر وحده ! حيث أننا لا نستطيع أن نميز بين الوجه العابس والوجه المفكر .

فالضحك يستلزم وجود الآخر أو الآخرين ، حتى أن الناس قد تعارفوا على أن الضاحك وحده إما مريض بمرض عقلى أو نفسى !!

والإنسان – أيضا – لا يستطيع أن يضحك وحده – حتى وإن حاول – إلا إذا استحضر فى ذهنه العلاقة الاجتماعية ، بمعنى أن

الآخرين يكونون فى ذهنه وقت الضحك .

ويبرر هذه السمة للضحك **هنرى برجسون** بقوله : «لأننا لا نتذوق الضحك فى حالة شعورنا بالعزلة ، والضحك فى حاجة إلى الصدى»[1] .

وسوف نزيد هذه السمة إيضاحاً عند الحديث عن وظيفة الضحك الاجتماعية .

السمة السادسة : الضحك إشعاعى :

وهو ما سماه البعض بظاهرة « السيكوفيزيائى » أو « الإشعاع النفسى » !

وهو خاصية تمدد الضحك فى وسط الجماعة .

وبعبارة أخرى : الضحك « وبائى » ! أى أن له القدرة على العدوى !!

كما تنتقل عدوى التثاؤب ، وعدوى الحماسة ، وعدوى الفزع والذعر .

فالإنسان – كما قلنا – لا يضحك فى الفراغ أو فى المطلق ، وكذلك لا يضحك وحده ، وإنما بناء على خاصيته الاجتماعية فهو ينتقل من خلال الآخر .

فإذا دخل الإنسان على مجموعة من الناس يضحكون ، فإنه يضحك ! حتى قبل أن يعرف الباعث الذى جعلهم يضحكون .

ومن المعروف لدى أهل الفكاهة التمثيلية من خبرتهم داخل المسارح ، أنه من الأيسر إضحاك جماعة من الناس عن إضحاك فرد واحد ، وأنه كلما زاد عدد الجمهور داخل المسرح كلما ازداد الضحك واشتد التصفيق .

(١) دراسته القيمة بعنوان : « الضحك » .

والإنسان حين يضحك تتولد لديه رغبة فى التلفت حواليه حتى يستيقن أن غيره إما يضحك مثله أو على استعداد للضحك ، فإن اكتشف تجهما أثر ذلك فيه حتى أنه لينقطع فجأة عن الضحك ، أما إن وجد مشاركة فإن ضحكته تزداد شدة .

ومن هذه السمة ندرك أن الضحك يزيد ويتضاعف بمشاركة الآخرين ، كما أن الحزن والهم يقل ويتناقص بمشاركة الآخرين .

وقد أشار الجاحظ لهذه الخاصية للضحك فى قوله : (فما ضحكت قط كضحكى تلك الليلة ، ولو كان معى من يفهم ما تكلم به « محفوظ النقاش » لأتى عليّ الضحك أو لقضى عليّ ، ولكن ضحك من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب)[1] .

السمة السابعة : الضحك يغير مجرى الشعور :

فهو ينقل الإنسان من حالة شعورية إلى حالة أخرى ، فإلى جانب حركة عضلات الوجه الميكانيكية توجد تغيرات نفسية تسبقها أو تعاصرها أو تليها ، والضحك فعل نفسى فى المقام الأول ، وإذا حدثت الحركة العضلية دون تغير الحالة الشعورية ولد الضحك ميتاً فاقداً لكل سماته وخصائصه كما قال الشاعر :

لا يؤنسنك أن ترانى ضاحكاً   كم ضحكة فى عبوس كامن

فتغيير مجرى الشعور هو روح الضحك الذى يحيا به ويموت بدونه .

والضحك – بناء على هذه السمة – ينقل الضاحك إلى حالة شعورية قائمة بذاتها من الانبساط الداخلى .

* * *

(١) البخلاء : حـ ٢ ص ٤٦

السمة الثامنة : الضحك يغير الحالة الجسمية :

فهو يغير كيمياء الجسم ، حيث تفرز الغدد المختلفة أثناء الضحك بصورة زائدة ، كالغدة الدمعية التى تفرز الدموع فى العين .

وكذلك يحدث الضحك تغيرا فى المجموعة العضلية للجسم ككل خارجياً ، وداخلياً ، بدءاً من الوجه والرأس حتى أخمص القدم ، ومن الجهاز التنفسى حتى العضلات العاصرة الداخلية ، وحتى حركات رد الفعل (الانعكاسية) .

وسوف نزيد هذه السمة إيضاحاً عند الحديث عن كيفية الضحك .

السمة التاسعة : الضحك عقلانى :

يحصر الضحك تفكير الإنسان فى باعثه ، حيث لا يفكر الإنسان الضاحك خارج نطاق سبب الضحك أو الباعث عليه ، والعقلانية هنا المقصود بها ضد العاطفية .

وتبدأ الحالة العقلانية قبيل الضحك مباشرة ، وتستمر أثناءه حتى قرب انتهائه ، فالضحك لا يخاطب العاطفة ، وإنما هو عقلانى إلى حد بعيد .

وتظهر هذه السمة واضحة حين يجتمع مجموعة تحتوى على مستويات متباينة عقلياً وثقافياً ، حيث تتباين درجة استجاباتهم لبواعث الضحك .

ولهذا يكون الضحك أشد إذا عرف الضاحك أصل باعثه ، وعلة تكون هذا الباعث ، ويشتد الضحك إذا عرف الضاحك أن هذا الباعث واقعى وحقيقى وغير مصطنع .

يقول هنرى برجسون : (إن مجتمعاً مؤلفاً من عقول محضة قد لا يبكى قط ، ولكنه يظل يضحك ، أما النفوس المتأثرة أبداً ، المتصلة بأوتار الحياة ، والقلوب التى تجتر الحوادث اجتراراً عاطفياً لن تعرف الضحك الحقيقى ولن تفهمه)[1] .

وخلاصة هذه السمة أن الشخص يضحك على كل الأمور ، ما عدا تلك التى تعنى عاطفته وتؤثر فيها .

مثال : قد يضحك إنسان إذا رأى شخصاً يحاول أن يجلس على كرسى فانقلب به الكرسى ، ولكنه لن يضحك أبداً إذا كان هذا الشخص هو أباه الذى يوقره ، أو أمه التى يحبها .

ومعنى هذا أن كثرة الضحك تؤدى إلى جمود العواطف وقسوة القلب ، وتؤدى إلى ضمور الأحاسيس ، بل وقد تؤدى إلى موت القلب ، فلا يشعر صاحبه بالمعانى الرفيعة ولا بالمشاعر السامية ، ولا ينفعل بآلام الآخرين ، ولا يحس بأحزانهم وهمومهم .

السمة العاشرة : الضحك يثبت بالعادة ويقوى بالممارسة :

وقد أشرنا إلى هذه السمة فى حديثنا عن كون الضحك فطرة إلهية فطر الله الناس عليها ، أو بالمصطلح النفسى غريزة بشرية .

فهناك من القبائل من لا تعرف الضحك إلا نادراً بسبب حياة الخطر التى يعيشونها سواء من القبائل الأخرى أو من حيوانات الغابة ، أو من الظواهر الجوية والطبيعية المحيطة بهم .

(١) الضحك : ص ٧ ، ٨ .

فالضحك يولـد ابتسامة خفيفة على الشفاة ويتدرج فى النمو حتى يصبح ضحكة عريضة دائمة ، وهو يحتاج فى نموه إلى بواعث وأسباب تكون بمثابة الغذاء المناسب لنموه وبيئة ملائمة تمرنه وتعوده على الضحك الصحى حتى يشب الضحك صحيحاً معافاً ، وكلما زادت ممارسة الضحك كلما كان قوياً ، يأتى تلقائياً دون تكلف ولا جهد .

وتتضح هذه السمة إذا تتبعناها منذ ميلاد الإنسان طفلاً وليداً ، فإذا نشأ بين أبوين ضاحكين مرحين فإنه يشب ضاحكاً مرحاً محباً للضحك والفكاهة .. وكذلك يؤثر المجتمع ككل فى أبنائه وفى مدى حبهم للضحك واعتيادهم إياه .

السمة الحادية عشرة : الجمال :

لا شك أن الضحك الإيجابى العفوى التلقائى غير المتكلف له جمال مادى يظهر فى وجه الضاحك ، وله جمال معنوى مستحب .

لهذا حث الفرعونى القديم « بتاح » على دوام الابتسام قائلا :

(كن باسم الثغر ما دمت حياً) .

ولا شك أن الضحك يقترن غالباً بالخير والسعادة ، وهما نوع من الجمال ، وأن العبوس والجهامة يقترن غالباً بالشر ، وهو نوع من القبح والدمامة .

يقول الفيلسوف الايطالى بندكروتشه :

(الضحك هو الجمال الذى لا يتعب أبداً ولا يشبع أبداً) .

السمة الثانية عشرة : الضحك ظاهرة كونية :

يقـول الله تعـالى : ﴿ **وأنه هو أضـحك وأبكى * وأنه هو أمـات وأحيا** ﴾[1] .

فـلا يقـتـصـر إضـحـاك الله تعـالى للإنسـان فـحسـب ، وإنما لكل المخلوقات .

فالحيوانات تضحك وتبكى ، وقد ثبت ذلك فى الكلاب ، والقرود ، والقطط معملياً ويلاحظها القريبون من هذه الحيوانات .

والنبـات كـذلك يضـحك ويبكى كـمـا ثبت ذلك أيضـا مـعـمليـا وتجريبياً .

يقول الله تعالى : ﴿ **... فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ...** ﴾[2] .

وقال أيضاً : ﴿ **. . . وترى الأرض هامـدة فإذا أنزلنا عليـهـا الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾[3] .

وقال أيضاً : ﴿ **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج** ﴾[4] .

ويقول البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا حتى كاد من الحسن أن يتكلما

وقد وصف الله سبحانه يوم القيامة بأنه « عبوس » وبمفهوم المخالفة يكون هناك يوم ضاحك ويوم ضحوك !

يقول الله تعالى : ﴿ **إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا** ﴾[5] .

فالزمان أيضاً يضحك !! .

(١) سورة النجم : الآيتان ٤٣ ، ٤٤ (٢) سورة النمل : الآية ٦٠
(٣) سورة الحج : الآية ٥ (٤) سورة ق : الآية ٧
(٥) سورة الإنسان : الآية ١٠



الوظيفة النفسية :

لله درُّ القائل : (الحمد لله الذى جعل فى المزاح سلوة الهم الارتواح) .

إن الوظيفة النفسية للضحك هى أوضح الوظائف وأقربها للذهن ، فالضحك رمز على الثقة واطمئنان النفس ...

والضحك يولد الانفعالات السارة التى تعطى الإنسان قوة .

والضحك يؤدى إلى الصفاء النفسى والذهنى ، ويساعد على التركيز والتنظيم الفكرى ..

والضحك يساعد على النضج الانفعالى والمشاركة الوجدانية مع الآخرين ..

والضحك يساعد على تحسين مزاج الإنسان ويعطيه الأمل مهما عز الرجاء ..

والضحك نوع من التكيف السامى للنفس البشرية ، يمكنها من مواجهة مصاعب الحياة ومشاكلها وفتنها ومحنها ومصائبها ، ويمكنها من مواجهة مخاوفها وهواجسها الداخلية ووساوسها ، ويؤنس وحشتها .

والضحك يحقق التوازن النفسى لدى الفرد ، وكذلك التكامل النفسى ، فيستطيع الضحك أن يحتوى الحزن والألم والتعاسة

والعبـوس والقـلق والمرارة فى نفـس الضـاحك .

والخلاصة : أن الضـحك يعـمل على تخفـيف أعبـاء الواقع على النفس ، ويرطب جدية الحياة ، ويريح النفس من كثافة المشكلات اليومية .

ويفسر ذلك بأن الضحك يرحل بالنفس الإنسانية بعيدا عن جدية الحياة وجفافها ، ويطلق الذات من أسر التفكير العميق الجاد .

يقول **شارل لالو** : (إذا كانت الحياة هى الفردوس المفقود ، فإن الضحك هو الفردوس المستعاد) .

الوظيفة الاجتماعية :

أشرنا فيما سبق إلى السمة الاجتماعية للضحك ، والآن نوضح الوظيفة الاجتماعية له .

فالضحك يقرب بين أفراد المجتمع سواء على مستوى الأسرة الواحدة أو الحىّ ، أو المدينة ، أو حتى على مستوى المجتمع الإنسانى .

فالضحك لسان عالمى يؤدى وظيفة التفاهم والتواصل ، وله معان ودلالات تقوى الروح الجماعية وتحث على التعاطف الجمعى حسب كل مستوى جمعى .

والضحك يقوم بدور التزييت والتشحيم داخل الآلة الاجتماعية بكل ما تشتمل عليها ، حيث أنه – كما قلنا – يساعد على النضج الانفعالى وفى نفس الوقت هو ذاته نوع من الوعى الاجتـمـاعى ، مما يؤدى إلى التهيؤ للتواصل والمشاركة الوجدانية مع الآخرين حيث تتلاشى الحدود والقيود بين الأفراد ، ويقرب الضحك بين نفوسهم ، ويضيق مساحة الخلافات والعداوات داخل المجتمع بما يفتح لهم من آفاق ووسائل تسلية وتسرية بعيداً عن زحمة الحياة وكربات العيش وضيق حدود وقيود وسدود

الظلم الاجتماعى والتحرشات والمشاحنات .

فهو يمثل الجانب المشرق والمرح من الحياة .

ومن هنا كان الضحك الإيجابى انطلاق للحرية الفردية والجماعية ، وارتفاع بمستوى السلوك البشرى ، وتحرير للإرادة ، وإطلاق للقيمة الإنسانية .

وللضحك دور اجتماعى آخر وقت الحروب والأزمات ، وبصفة عامة حين يتعرض مجتمع من المجتمعات لضغوط شديدة من أى نوع ، حيث تصبح الفكاهة الضاحكة سلاحاً فى يد الشعب يشهره ضد أعدائه ، ويقرب - فى نفس الوقت - بين طوائفه وطبقاته ويوحدهم .

وللفكاهة الضاحكة وقت الضغوط الشديدة على المجتمع هدفان :

الأول : أنه وسيلة من وسائل الدعاية والتشهير ضد أعداء الشعب .

الثانى : أنه وسيلة لتقوية الروح المعنوية بين الناس ، والتخفيف من آثار الأزمة وتوابعها .

الوظيفة الصحية الحيوية :

الضحك - بوجه عام - ينشط الدورة الدموية ويجددها ، وينبه وينعش المجموع العصبى ، كما ينشط غدد الجسم المختلفة خاصة غدد الحلق والرقبة وفوق الكليتين .

ويقوى الضحك الجهاز التنفسى : فيقوى الحنجرة والأحبال الصوتية ويزيد القدرة على التنفس ويفتح الشعب الهوائية ويملأ الرئتين بالأكسجين ، ويقوى عضلات الصدر ، ويقوى عضلة القلب .

كما يقوى الفكين ، ويعمل على استرخاء عضلات الوجه إلى الخلف .

ويعمل الضحك نوعاً من التوازن الهرموني داخل الجسم .

كما يؤدي إلى إشراقة الوجه بحالة الانشراح العادي الذي يسمح للدم بالتدفق إلى الوجنتين ، كما تجعل الإنسان الضاحك منتصب القامة مفتوح العينين عالي الرأس قد خلت جبهته من الغضون والتجاعيد ، وذلك يكسبه جمالاً وبهاءً ، وهو ما يميز الضاحكين الضحوكين .

ويفسر ذلك بأن الضحك يقوم بعملية تشبه عملية التدليك «المساج» لخلايا الجسم .

ويفسر – أيضاً – ذلك بأنه يحدث أثراً مشابهاً لأثر الرياضة المعتدلة ليس على الجسم فحسب بل على النفس والقلب أيضاً .

والضحك – مع كل ذلك – يفتح الشهية للطعام ويساعد على هضمه وتمثله وامتصاصه ، كما يؤدي إلى النوم الهادىء المريح ، ويحقق الاسترخاء ، ويزيد مناعة الجسم .

ومن هنا فلا غرابة أن يساعد الضحك على النمو الطبيعي للطفل ، ويساعده على أن ينشأ صحيح البدن قوياً معافاً .

يقول الجاحظ : (والضحك أول خير يظهر من الصبي وتطيب به نفسه ، وعليه ينبت شحمه ، ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته)[1] .

الوظيفة الإصلاحية :

هناك أمور لا يجرمها القانون ، ولا تخالف القواعد الأخلاقية ،

---

(1) البجلاء : حـ ١ ص ٢٧

إلا أنها مستهجنة اجتماعياً ، وتسبب للمجتمع معوقاً يعوقه عن التقدم والسير فى طريق الرقى .

والضحك هو أحد وسائل إزالة مثل هذه المعوقات على كافة مستويات المجتمع ، فهو يقوم بدور إصلاحى منفرد لا يستطيع أن يقوم أمر آخر به كالوعظ أو الإرشاد أو الاستنكار .

وهو يقوم بدورين : وقائى وعلاجى .

فالخروج بصورة حمقاء عن قيم اجتماعية أو عن ذوق المجتمع أو عن مبادئة المقررة ، كارتداء زى مستهجن – أو استخدام لهجة سوقية – أو الغفلة – أو النهامة فى الطعام ... إلخ .

وتعد النكت والنوادر والمواقف الهزلية الممثلة بمثابة علاج من المرض الاجتماعى ، وفى نفس الوقت مصل وقاية للأفراد من الوقوع فيه فهى تحذر الواقع فيها وتبين له موضع انحرافه وتكون بمثابة عقوبة نفسية حتى يقلع عن فعله ، وأيضا تعطى أفراد المجتمع استعداداً نفسياً لمواجهة أصحاب هذه المواقف ، وتقلل من تأثيرها عليهم تمهيداً لتغييرها، ودفعاً للمجتمع نحو الأفضل والأرقى .

وأيضاً حين يتعرض المجتمع لحالة من انعدام الوزن ، أو عدم الشعور بالأمان ، أو هامشيه التأثير نتيجة لاستبداد الحكام الماكرين مثلاً ، أو طغيان الأجهزة الحاكمة ، أو حين تشتد قبضة السلطة رغم ارتدائها قفازاً من الحرير !!

حينئذ لا يجد الناس وسيلة للرد على القمع والتنكيل إلا بالعمل على الحط من شأن هؤلاء الحكام وتلك السلطة بالسخرية والتهكم عليهم وعلى ما يمثلونه من رموز وما يصدر عنهم من قوانين ذو خطب أو شعارات .

وتأتى النكتة فى مقدمة الأسلحة تنفذه الشعوب فى صدور ظالميهم كلما استحال عليهم إظهار الحق جهراً .

فالنكتة تعد رسالة بدون توقيع موجهة إلى الحاكم المستبد .

وهناك وسائل شعبية أخرى يجمعها الضحك منها : التعريض .. اللمز .. التعليق التهكمى الذى يحمل معنيين – الكاريكاتير ، المقالة الساخرة – . . . إلخ .

وتعمل هذه الوسائل فى اتجاهين :

الاتجاه الأول : اتجاه خارجى نحو الحكام حتى يسمعوا صوتهم لعلهم يستجيبون لهم .

الاتجاه الثانى : اتجاه داخلى لإبقاء جذوه المقاومة مشتعلة حتى لا تنطفىء ، وصمام أمان ينفس كربات الناس إذا اشتدت أعمال الماكرين قسوة .

الوظيفة الأخلاقية :

جاء فى بعض الآثار أن (من كانت فيه دعابة فقد برىء من الكبر) .

هذا بالنسبة للضحك الناتج عن دعابة ، أما الضحك من النفس لتصحيح ما صدر عنها من عيوب فهو نوع من الاستعلاء عليها ومحاولة لتجاوز تلك العيوب .

فهو من هذه الزاوية تقويم ذاتى للسلوك له جانبان : **الأول** : موجه ضد الكبر والغرور وهى عيب أخلاقى ، **والثانى** : رقابة ذاتية تغير ما بنفس الضاحك .

والضحك أيضا يقضى على الترهل والتفسخ والتشوه الأخلاقى حين

يعطى المزاج المبتهج والابتسامة الودودة حتى يصير علامة على الخلُق .

يقول رسول الله ﷺ : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة » .

ويحث رسول ﷺ على هذا النوع من الود بقوله : « لا تحقرن من المعروف شيئاً حتى وإن تلق أخاك بوجه طلق » .

والضحك بما يؤدى إليه من صفاء نفسى وذهنى تقويم للسلوك من الكسل إلى النشاط ، ومن الوخم والتراخى إلى الإقبال على الحياة ، ومن اللامبالاة إلى العمل المثمر البناء والنجاح والرشاد .

وإلى جانب ما سبق فالضحك يغطى على أقبح عيوب الفرد ، ويستر أخطاؤه ومساوئه .

الوظيفة الوقائية العلاجية :

يعرف بعض أصحاب الدراسات الفلسفية والنفسية ، الضحك أنه : « صيحة النصر » !!

وهذا التعريف ينطبق فعلاً على كل معارك الإنسان الصغيرة والكبيرة الداخلية والخارجية على المستوى النفسى حيث يستخدم أحيانا قبل النصر وأثناء المعركة كسلاح هجومى[1] ، كذلك على المستوى الجسمى .

فعلى المستوى النفسى يمر الإنسان بمراحل مزاجية مختلفة من الفرح والحزن ، ومن الاطمئنان والقلق ، ومن الأمن والخطر .

والضحك يحصن الإنسان ويعمل على وقايته من الأمراض النفسية ، ويطبع حياته بطابع جمالى .

---

(١) النجلاء : حـ ١ ص ٢٧

* فقد سئل الشعبى يوماً : هل تمرض الروح ؟

- قال : نعم ، تمرض من ظل الثقلاء !

ومر به السائل يوماً وكان بين ثقيلين فسأله : كيف حال الروح اليوم ؟!

- قال : فى النزع الأخير !!

فالمزاج المبتهج والضحك بدرجاته يعطى التوازن النفسى الذى يجعل النفس فى حالة صحة وعافية ونشاط .

يقول أبو حيان التوحيدى : (النفس تمل كما أن البدن يكل ، وكما أن البدن إذا كَلَّ طلب الراحة ، كذلك النفس إذا مَلَّت طلبت الرَّوْح ، خاصة عند تكاثف الملل الداعى إلى الحرج)[1] .

ويقول فى موضع آخر يؤكد المعنى السابق : (وقد بلغنى أن ابن عباس كان يقول فى مجلسه بعد الخوض فى الكتاب والسنة والفقه والمسائل : أحمضوا ، وما أراه أراد بذلك إلا تعديل النفس لئلا يلحقها كلال ، ولتقتبس نشاطاً فى المستأنف ولتستعد لقبول ما يرد عليها فتسمع)[2] .

ويقوم أيضاً بدور المُسكِّن على المستوى النفسى حيث يسكن آلامها .

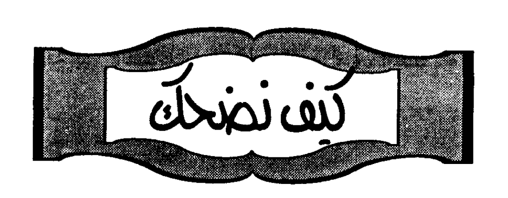
وقد أثبت الطب النفسى الحديث قدرة الضحك الفائقة فى علاج الأمراض النفسية علاجاً ناجحاً ، حتى أنهم يجمعون المرضى النفسيين فى جلسات خاصة للضحك !!

أما على المستوى الجسمى ، فقد ثبت أيضاً الارتباط الوثيق بين الصحة النفسية والصحة الجسمية .

(١ ، ٢) الامتاع والمؤانسة : حـ ٢ ص ٦

وتأثير الضحك على الجسم يتم عن طريق الوقاية النفسية أو العلاج النفسى ، وكذلك عن طريق تأثيره الفعال على الجسم الذى أشرنا إليه سابقاً ، وله أيضا الدوران الوقائى والعلاجى ، وكذلك دور المسكن من الآلام الجسمية .





بعد أن علمنا مدى أهمية الضحك فى حياتنا ، والفوائد الجمة التى يحققها ، والوظائف الحيوية التى يقوم بها ، نعمل فى هذا الفصل على الكشف عن عملية الضحك ذاتها بكل أبعادها ودقائقها ، نكتشفها ولا نتدخل فيها إلا بالوصف والتوضيح .

البداية :

يظهر الضحك مع ميلاد الإنسان بمجرد أن يفتح عينيه على الحياة ، وتبدو الضحكة واضحة من بداية الشهر الثالث ، الذى لا يكاد يمضى حتى تكتمل للوليد كل مميزات الضحكة العادية من حيث انفراج الفم ، وإحداث الصوت الخاص بها ، وتتابع حركة الزفير المصاحبة لها .

والابتسام يسبق القدرة على الضحك .

وابتسام الرضيع دليل على أنه فى حالة نفسية وبدنية طيبة .

ويبدأ ابتسام الرضيع ما بين الشهر الأول والشهر الثالث ، ويكون الباعث على الابتسام هو ابتسام شخص ـ الأم غالباً ـ له ، أو إحداث صوت خاص ـ كصفير مثلاً ـ مع مداعبته .

ويكون رد فعل الرضيع بالابتسام دليل على صحة وعى الطفل الاجتماعى .

والمواليد الذكور أسبق فى الابتسام من المواليد الإناث .

والمواليد السود أشد تأثراً وأسرع استجابة للابتسام من المواليد البيض .

والعلاقة بين الضحك والبكاء وثيقة لدى الطفل ، ويكفى أن يوجه انتباه الطفل الباكى إلى أمر آخر لتنبسط أساريره وينقلب بكاؤه إلى ضحك ، وهو ما تعمد إليه بعض الأمهات !!

حركات الضاحك :

يبدأ الضاحك بفتح فمه مع جذب زاويتى الفم إلى جانبى الوجه مع ميل يسير إلى أعلى يسبب بروز وتورد واستدارة الخدين .

وتضيق العينان وتتقلص العضلات المحيطة بهما بحيث تصبح شبه مقفلة ، وتظهر تجعدات دائرية تكون واضحة عند كبار السن فى الزاويتين الخارجتين للعينين فى شكل أسهم متفرقة من مركز الزاوية .

وقد يسبل بعض الناس جفونهم إسبالاً تاماً عند الضحك الشديد ، وقد تنهمر الدموع من العينين عند الضحك الشديد بسبب تأثر الغدد الدمعية . . أما الأنف فيبدو أفطساً (أى أقل طولاً وأكثر عرضاً) .

ولهذا يقولون : (**فطس على روحه من الضحك**) !!

وذلك يسبب فتح الفم فتشد عضلات الوجه والأنف إلى الخلف .

فإذا غمرت الإنسان موجة من الضحك لا يكتفى بالتعبيرات الحركية الصامتة بوجهه ، بل يتبعها بأصوات لها نغمات مميزة تؤثر فى السامع .

ويصاحب هذه الأصوات اهتزاز الفك السفلى هزات متلاحقة ، كما تتأثر كل أجزاء الجسم فتسرى فيه ما يشبه الرعشة أو القشعريرة التى تدغدغ الحواس ، ويهتز الرأس إلى أعلى أو أسفل أو إلى الوراء ، وقد يميل الجسم كله إلى الأمام والخلف .

ولهذا يقولون : (**استلقى على قفاه من شدة الضحك**) !!

وقد يعمد الضاحك ـ عند الضحك الشديد ـ إلى الإمساك بجانبيه بسبب تأثر الحجاب الحاجز والمعدة والأمعاء .

ويهتز الصدر ، وتبرز عضلات الرقبة الأمامية ، وقد يفقد الجسم توازنه ويرتمى على الأرض ، أو ـ كما قلنا ـ يستلقى على ظهره !!

وبعض الناس يضعون أيديهم على أفواههم أثناء الضحك ، أو يحكون وجوههم بخفة ، أو ينبشون شعورهم بأطراف أصابعهم ، أو يضربون بأيدهم على ركبهم ، أو يفحصون الأرض بإبهام أقدامهم .

ومن هنا جاء قولهم فى كتب النوادر قديما : (**وضحك حتى فحص برجليه الأرض**) !!

أما فى داخل الجسم فإن التنفس يصبح أسرع ، والنبض يزداد ، والغدد بأنواعها تنشط وتفرز إفرازاتها فى الدم وفى خارج الجسم (كالدمع واللعاب) ، وترتفع نسبة الأكسجين فى الدم ، ويحدث تيقظ عام وحالة من الصحو والانتباه للجسم أثناء الضحك . .

البكاء من الضحك : حين يضحك الإنسان تصبح العين – كما قلنا – شبه مقفلة ، وتصير براقة بسبب إفراز الغدة الدمعية ، ويزداد إفرازها بازدياد شدة الضحك ، ونتيجة لاستمرار التنبيه لها تظهر الدموع فى العين وتنساب منها !!

خلاصـــة :

يمكننا أن نحدد ثلاثة جوانب فى كيفية الضحك الإنسانى :

١ ـ جانب نفسى انفعالى باعتباره سلوكاً ذاتياً ، يقول عنه العالم النفسى لوسيان فابر : (. . إن الضحك – فى الحقيقة – عبارة عن ظاهرة عضوية تعبر عن نفسها تعبيرا سيكلوجيا (نفسيا) بالانتقال المفاجىء من بعض الحالات الشعورية إلى حالات أخرى مغايرة) .

٢ ـ جانب عضوى : ـ أشار إليه لوسيان فابر ـ متعلق بجسم الإنسان وأعضاءه ووظائفه الحيوية وغدده وإفرازاته وحركاته .

٣ ـ جانب اجتماعى : يرتبط بالثقافة والبيئة والمناخ أو الطقس الحضارى العام .

الإدراك الفكاهى والإحساس الفكاهى :

الإدراك الفكاهى : هو تلك الملكة العقلية التى تجعل الإنسان يدرك الفكاهة وينفعل بها .

ويختلف الناس فى مدى إدراكهم للفكاهة بنفس قدر اختلافهم فى ملكاتهم العقلية .

والإدراك الفكاهى كالإدراك المنطقى والإدراك الجمالى والإدراك الحسى .

الإدراك الفكاهى يتمثل فى معرفة الأسباب التى بعثت الابتسامة أو الضحكة إلى الشفاه كالمفارقات ، أو التلاعب اللفظى أو السخرية ، أو الغفلة والتغافل .

والإدراك الفكاهى يعتمد على التكوين السيكلوجى للإنسان ، مما يدخل مضمونه فى محتوى الذكاء العام ، مع ما يكتسبه الفرد من تجارب وخبرات ، وتراكم آثار الظروف الاجتماعية والبيئية .

وعلى هذا فإن الدرجة الأولى من الاستعداد العقلى لاستقبال الفكاهة والتأثر بها هو تمييز الفرد لعامل من العوامل المثيرة للضحك ، بما يمتلكه هذا الفرد من وعى وانتباه ، ودرجة ذكاء ، وتمكن فى اللغة ، وثقافة وخبرات . . إلخ .

مثال : ما روى عن السلامى الشاعر : قيل أنه دخل على عضد

الدولة فمدحه ، فأجزل عطيته ، ثم رأى في يد الأمير جاماً أعجبه ، فرمى به إليه ليأخذه .

فقال السلامى : (وكل خير عندنا من عنده) .

فقال عضد الدولة : (ذاك أبوك) !!

فبقى الشاعر متحيراً حتى أدرك أن هذا شطر بيت لأبى نواس فى مدح كلب يقول فيه :

أنعت كلبا أهـــله فى كده   قد سـعدت جدودهم بجده

وكل خير عندهم من عنده !!

* * *

أما الإحساس الفكاهى فهو تلك الملكة النفسية الفطرية التى تُكَـوِّن مزاجاً مرحاً يتأثر بها إحســاس الإنسان من خلال بواعث الضحك ومثيراته .

أى أنه موهبة ربانية تعرف الناس على تسميتها بـ « الظرف » وعلى تسمية أصحابها بـ « الظرفاء » .

والإحساس الفكاهى هو استعداد مزاجى عام يصبغ تفكير صاحبه ويوجهه إلى كل ما من شأنه أن يثير الضحك .

ويرتبط الظرف بالذكاء الذى يُمَكِّن الظريف من إدراك كل ما هو فكاهى ويميزه ، ويظهره ، بل ويبدعه !

يصف ابن الجوزى الظرف فيقول : (يكون الظرف فى بلاغة اللسان ، وعذوبة المنطق ، والتقزز من الأفعال المستهجنة ، ويكون فى خفة الحركة وقوة الذهن ، وملاحة الفكاهة والمزاح) .

وهو هنا يصف الصورة الخارجية للإحساس الفكاهى .

وينطبق هذا الوصف على الظرفاء الأذكياء ، والظرفاء الحمقى والمغفلين ، والظرفاء الذين يتظاهرون بالغفلة .

مثال ١ : كان الشعبى يقف مع امرأة فى الطريق يكلمها ، فلقيه رجل وسألهما : أيكما الشعبى ؟! فقال الشعبى بسرعة بديهة : **هذه !!** وهو يشير إليها !!

مثال ٢ : كان هناك رجل يأخذ من قفف الناس ويضع فى قفته ، فسأله رجل : ماذا تفعل ؟! قال : أنا أحمق !! قال الرجل : فلماذا لا تأخذ من قفتك وتضع فى قفف الناس ؟ قال : أصير أحمقين !!

درجات الضحك :

يختلف الضحك فى مظهره الخارجى حسب درجة شدته ..

وكلما زادت شدة الضحك زاد الانفعال الداخلى للإنسان ..

ويمكن ترتيب درجات الضحك حسب شدته تصاعدياً كالآتى :

١ ـ حالة الانشراح العادى : وهى حالة نفسية تتسم بالبهجة والسرور بصفة عامة .

٢ ـ الابتسام الخفيف أو الإهلاس : ويتميز بلمعان العينين ، وانفراج الفم انفراجاً طفيفاً إلى الجانبين مع انطباق الفم المقفول إلى الجانبين ، ويصحب ذلك ارتفاع الخدين ارتفاعاً قليلاً .

٣ ـ الافترار : وهو الضحك حتى تظهر الأسنان ، ويحدث الافترار بارتفاع الشفة العلوية من مكانها فتظهر الأسنان العلوية دون صوت .

٤ ـ القهقهة والكركرة والقرقرة : وهى الضحكة العالية الصاخبة ذات الصوت الصادر من سقف الحلق .

٥ ـ ضحكة الاستعراب : وهى الإكثار من الضحك واشتداده والولوج فيه .

٦ – الطخطخة : وهى أن يصل الضحك فى شدته إلى درجة أن ينخر الضاحك نخرات متقطعة ، وهى عبارة عن صوت يخرج من فم الضاحك : خـ . . خـ . . خـ !

ويحدث ذلك بسبب تدفق الضحك وتلاحق التنفس من الفم ، مع المغالبة الشديدة للضحك حتى تهدأ نوبته .

٧ ـ الإهزاق أو الزهزقة : وهى أن يذهب الضحك بالضاحك كل مذهب ، ويصبح فى حالة من الضحك لا سبيل إلى مقاومتها ، حيث يضرب الضاحك الأرض ، أو يضرب ما أمامه برجليه ويديه ، وتدمع عيناه ، ويمسك بصدره وجنبه ، ولا يستطيع أن يتوقف عن الضحك حتى لو أراد هذا . . وإذا خفت نوبة الضحك عنده قليلاً ووجد جليسه يضحك ربما ولج فى الضحك من جديد حتى يتعب منه وتنتهى النوبة .

أنواع الضحك :

كما علمنا من قبل الضحك ضحوك عدة وليس ضحكاً واحداً ، ويمكن أن ندرج هذه الضحوك تحت ثلاثة أنواع رئيسية هى :

١ ـ الضحك الإيجابى :

وهو الضحك الذى يؤثر تأثيراً إيجابيا من أى نوع، سواء على الفرد، أو على من حوله ، والمعيار الذى تقاس به إيجابية الضحك هو الخير .. نية الخير ، ونتيجة الضحك « خيراً » ، ويندرج تحت هذا النوع ضحوك عدة منها :

(أ) الضحكة الودودة : مثل ابتسامة الصديقين حين يلتقيان .

(ب) الضحكة الدافئة : والضحكة الرقيقة ، الوديعة ، الحلوة ، الطفولية ، الروحانية .

(جـ) ضحك الراحة : بعد الانتهاء من عمل شاق ، أو سماع نبأ سار طال انتظاره . . . إلخ .

(د) ضحك التسلية والتسرية : وهو ضحك خال من الأنانية ، كالضحك على النوادر .

(و) الضحكة الخجولة : لمحاولة الانتصار على الإحساس بالعجز أو التقصير .

(ز) ضحك التنفيس : ويحدث وسط مصيبة جلل كالعقاب الجماعى .

وغيرها كثير بالمعيار السابق .

٢ ـ الضحك السلبى :

وهو نوع من الضحك العدوانى الشرير يتولد غالباً من انفعال السخط أو الحسد أو الحقد ، والمعيار الذى يقاس به هو الشر . . نية الشر، ونتيجة الضحك « شراً » ويندرج تحت هذا النوع ضحوك عدة منها :

(أ) الابتسامة الباهتة : وتسمى الابتسامة الصفراء ، وهى ضحكة متحجرة حاسدة مقبضة .

(ب) الابتسامة الصيادة : وهذه تكون بين النصاب وفريسته ، أو بين الرجل والمرأة ، أو بين التاجر والزبون إذا كان يريد غشه .

(جـ) الابتسامة الشاحبة : وهى الضحكة الميتة التى لا روح فيها ، فهى متكلفة مصطنعة وتكون فى الأوساط الدبلوماسية ، وفى المطاعم والفنادق من الخدم .

(د) الابتسامة الماكرة : وهى ضحكة الشر ، تخطط له وتعمل من أجله ، وتفرح به .

(هـ) ضحكة السخرية : وهى ضحكة مزدرية ، تبحث عن النقص لدى الآخرين وتنقب عن عيوبهم .

(و) ضحكة التهكم : قريبة من ضحكة السخرية ، إلا أنها تكون على خصم تافه ناقص .

(ز) الضحكة الماجنة : وهى الضحكة الناجمة عن النزعات الجنسية ، والقفشات الفاضحة ، وغالبا تكون فى وسط فاجر .

(ح) الضحكة الهستيرية : وهى ضحكة خاوية جوفاء ، وتحدث فى حالات العجز عن السيطرة على النفس وقت الفواجع ، ولا يصاحبها شعور بالفرح ، وهى أقرب إلى الجنون المؤقت ، وتكون فى النساء أكثر من الرجال .

٣ ـ الضحك المحايد :

كالضحكة البلهاء ، والضحكة الانعكاسية ، والضحكة التى لا يعرف صاحبها سبباً لها .

توقيت المزاح ومقداره :

ما دام الضحك فطرة داخل الإنسان ، فالمزاح المؤدى إلى الضحك لا شيء فيه إن راعينا الوقت المناسب له ، والمقدار المناسب منه .

* لهذا لما سئل ابن عيينة : المزاح سبه ؟

ـ قال : سبه لمن لا يحسنه ، ثم أنشد :

يا ساعة فى مزاحى ... قد طبت فيك وطبت

إنى إذا ضاق صدرى ... قطعت بالمزح وقتى

والأصل فى الإنسان الجد والوقار ، إلا أنه يجب أن يوازن ذلك بضحك وفكاهة .

يمدح الشاعر أحدهم بقوله :

الجد شـــيمـــته وفيه فكاهـة   طـــوراً ،ولا جد لمن لا يلعب

وللهزل **وقت** ينبغى أن لا يجاوزه . . يقول الشاعر :

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى   وإنى إذا جـــد الرجـــال لذو جد

وكذلك له **مقدار** يحدده الشاعر بقوله :

أفد طبعك المكدود بالهم راحـــة   قلـيلاً ، وعلـله بشىء من المزح

ولكن إذا أعطـــيته المزح فليكن   بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

أمـا المزاح الخـشن فـهـو غطاء الفـاشلين ، وذلك لأنه يؤدى إلى التعارك والقتال . . يقول الشاعر :

ربمـــــا اســـتـفتح بالمز   ح مغـــــاليق الحـــمـــام





أسباب الضحك :

المقصود بأسباب الضحك هو الإجابة على التساؤل : **لماذا تضحك ؟**

وإذا علمنا أن الضحك لا يحدث تلقائياً دون سبب ، وإذا علمنا أن السبب يتحدد حسب نوع الضحك ...

نقرر أولاً حقيقة هامة هى : أنه إذا كان شعورنا بالبهجة يولد الضحك فإن الضحك ذاته يولد الشعور بالبهجة .

يقول العالم النفسى الشهير **ماكدوجال** : (إننا إذا كنا نشعر بالسرور حينما نضحك فإننا نشعر بالسرور لأننا نضحك) .

وقد صيغت نظريات عديدة للإجابة على هذا التساؤل : **لماذا نضحك ؟**

نعرض لأهمها حتى نصل بعد عرضها إلى الإجابة الشافية الكافية .

نظرية التفوق الذاتى :

وضع هذه النظرية العالم مارسيل بانيول ، ولخصها فى كلمتين : (**الإحساس بالتفوق**) : ويقول فيها أن هذا الإحساس ينتج من

شعور الضاحك بالامتياز والتفوق الشخصى المؤقت ، وأنهم لهذا يطلقون على الضحك عبارة : « صيحة النصر » !!

والحقيقة أن هذه النظرية بها جانب كبير من الصحة ، وتنطبق على عدد كبير من أنواع الضحك .

وقد تبنى هذه النظرية مؤلفى الكوميديا ، حتى أنهم يحرصون على الإيحاء لجمهورهم الذين يريدون إضحاكه بالتفوق الدائم على شخصيات رواياتهم ، سواء فى الذكاء أو فى المعرفة ، أو فى الإمكانات والقدرات ، أو فى أى شىء .

ومن الجائز أن يجعل المؤلف الكوميدى بعض شخصيات روايته يتفوق على البعض الآخر ، إلا أنه لا يسمح مطلقاً بتفوقهم على الجمهور ، ولذا لا يجعل هذه الشخصيات تضحك طويلاً وإلا أصبحت فى مستوى تفوق الجمهور .

وتعرف هذه النظرية بـ « النظرية الذاتية » ويؤيدها معظم علماء النفس المعاصرون قائلين أن الضحك نوع من التفوق والشعور بالنصر حتى لو ضحك الإنسان من نفسه ، لأن هذا نوع من الاستعلاء عليها لما فعلته فى الماضى من حماقات ، كى يوهم نفسه أنه قد تخلص من هذه الحماقات فى الحاضر .

ويضيفون أيضا : أن الضحك على مصائب الغير كالسخرية والشماتة هو أيضا نوع من استشعار التميز أو السلامة أو المعافاة من النقص أو العجز أو العيب الذى لدى هذا الغير .

ويفسرون ظاهرة الضحك الإشعاعى فى ضوء هذه النظرية ، بأن أى شخص لا يرضى أن يكون أقل تفوقاً من جاره أو أدنى منه فى ممارسة

الشعور بالتفوق ! لذلك تظهر هذه العدوى الوبائية الضاحكة فى صورة عاصفة عصبية من الضحك خاصة بين البسطاء من الناس الذين يفتقدون هذا الشعور ، وتقل هذه الظاهرة كثيرا كلما ارتفع المستوى العقلى والثقافى .

يقول الدكتور زكريا إبراهيم فى تأييد هذه النظرية من خلال تعريفه للضحك :

(الضحك نوع من الانتصار لا يشعر بنفسه إلا من خلال الهزيمة) .

نظرية الطاقة الفائضة :

وتتلخص هذه النظرية فى أن الإنسان حينما يكون لديه مخزون من الطاقة الفائضة فى نفسه يعمل على تصريفه عن طريق الضحك .

فمثلا : الطاقة المكبوتة للعمل السياسى فى ظل القمع والديمقراطية الزائفة والتجاهل يروج للنكات السياسية والضحك على السلطة الجائرة ..

والتفاوت الطبقى الشديد يولد عنه حقدا طبقياً مما يؤدى إلى انتشار الفكاهات العدوانية والنقد اللاذع والسخرية المرة ..

والكبت الجنسى يساعد على انتشار الدعابات الفاضحة والتوريات الماجنة ..

والطاقة العقلية المتمثلة فى مستوى الذكاء والثقافة . . تؤدى إلى ذيوع النوادر الطريفة ، والنكت العقلية الراقية ، والضحك القائم على التلاعب اللفظى ..

ورغم أن هذه النظرية جديرة بالاهتمام والاعتبار ، إلا أنها لا تنطبق على كل أنواع الضحك .

النظرية الاجتماعية ، نظرية التكامل العام ، :

وتتلخص هذه النظرية فى أن الضحك ما هو إلا ناتج اجتماعى من أجل توطيد تقاليد المجتمع والمحافظة على نظمه .

والضحك – وفقا لهذه النظرية – هو نذير للمجتمع حتى لا يصل الخروج على تقاليده ونظمه إلى درجة التهديد ، فهو ضرب من الإشارة الاجتماعية والتحذير ، من أجل قمع الابتعاد عن المركز الاجتماعى الحيوى .

هذا وجه من وجوه النظرية ، والوجه الآخر المكمل لها هو أن أفراد المجتمع بما لديهم من استعداد فطرى غريزى للضحك بجانب استخدامه كوسيلة للحفاظ على قيم المجتمع – فإنهم يشبعون هذه الحاجة الفطرية بطريقة أخرى اجتماعية عن طريق إقامة الاحتفالات والمهرجانات والأعياد والسهرات .

فلا يخلو مجتمع من مثل هذه الاجتماعات المبهجة والضاحكة .

وهذه النظرية ينطبق عليها ما قلناه عن النظريات السابقة من كونها مهمة ومعتبرة إلا أنها ناقصة .

مثال : قيل أن رجلا كان يستمع إلى خطبة واعظ فى كنيسة ، وكان الحاضرون جميعاً يبكون متأثرين ، وهو لا يبكى ، فلما سئل : لم لا تبكى ؟! أجاب : (ولكنى لست تابعاً لهذه الأبرشية) !!

النظرية الدفاعية :

وفحوى النظرية أن الضحك تفريج لأزمة نفسية عند الفرد أو عند الجماعة بسبب المجهود المبذول لاتقاء خطر أو دفع ضرر محتمل الوقوع، حيث أن الإحساس بالألم والشعور بالحزن يحتاج إلى الروح المرحة

لاقتلاعه من جذوره ، أو حتى التخفيف من آثاره .

وتتجلى صحة هذه النظرية فى تطبيقها على فكاهات الشعوب المقهورة ، وفكاهات الحروب ، وفكاهات الإصلاح الاجتماعى للظواهر المدمرة له كالإدمان والخلاعة والتميع والرشوة والمحسوبية والإرهاب بأنواعه . . . إلخ .

كما تتجلى فى استخدام الضحك كسلاح دفاعى فى المعارك الفردية عن طريق الزراية بالخصوم والحط من شأنهم وتسفيههم بالسخرية والتهكم وإطلاق النكات عليهم ونسبة النوادر إليهم والتعريض بهم .

ولا شك أن النظريات الأربعة ـ التى عرضناها من بين نظريات عديدة ـ تعبر بدرجة ما عن الضحك ، غير أن إحداها منفردة لا يمكنها أن تعطى التصور الكامل أو التفسير الشامل للإجابة عن تساؤل : **لماذا تضحك ؟!**

وهذه النظريات الأربع تجيب فى مجموعها إجابة متكاملة عن التساؤل .

بواعث الضحك :

المقصود ببواعث الضحك هو مثيراته ..

وهذه البواعث – كما قلنا – لانهائية ، حتى صارت هناك فنون لمثيرات الضحك كل فن يبدع هذه البواعث ويولدها ليرسم على الشفاة الضحك بدرجاته .

من هذه الفنون :

النكتة :

مرادف النادرة والملحة والضُحْكة والخزعبيلة واللطيفة .

ويتضح من كثرة مرادفاتها مدى شيوعها وتأثيرها وقربها من القلوب ، حتى أن العرب فى مجتمعاتهم يروونها ويتناقلونها ويضحكون منها .

وقد بلغ من حب العرب للنكت أنهم كانوا يطلبون سماعها مقابل مال !!.

يقول يحيى بن زياد الفراء : (كنت قاطعت ابن دراج الطفيلى على أن يملى علىّ ثلاثين نادرة بدرهم ، فكان إذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له) فقال : (إن أردت النقاوة فعشرة بدرهم) !!

وتتميز النكتة عن بقية الفنون بشعبيتها ، فهى تولد من وسط الناس ، وملكيتها تكون على الشيوع .

كما تتميز فى تركيز الضحك فى نقطة النهاية حيث تفاجىء السامع بمفاجأة غير متوقعة ، ومن هنا كانت النكتة القديمة لاتضحك .

فهناك فرق بين الكلمة الضاحكة التى نضحك من قائلها ، وبين النكتة التى نضحك فيها من طرف ثالث .

مثال : فقد يقول بعضهم كلاماً غير مفهوم ، كأن يقول : رأيت اليوم رجلاً خشخفيرا !!

فسيضحك السامع من كلمة « خشخفير » ! فإذا علم أنها لا معنى لها استغرق فى الضحك ..

والنكتة عند علماء النفس التحليليين هى نوع من الأحلام للهروب من وعى الصحو ومنطق اليقظة ، إلا أنها تختلف عن الأحلام فى كونها تخرج من وعى الإنسان وإدراكه .

فالنكتة تعبر عن راويها وتدل عليه ، وكذلك على المنفعل بها ،

الضاحك منها ، سواء كان فرداً أو شعباً .

ولهذا قيل : قل لى م تضحك ؟ أقل لك : من أنت .

وكل من يروى النكتة ينسبها ضمنا إلى نفسه ، ورغبته فى إضحاك الآخرين ومشاركتهم إياه فى لذة الضحك والسرور منها واضحة فى روايته لها ..

ويشترط فى ملقى النكتة أن يكون ذكيا ، سريع الخاطر ، متمكن من لغته ، عالم بمفرداتها وأساليبها ، ويركز فكرتها فى كلمات قلائل ، ويصب جوهرها فى مقطعها الآخير .

ويجب أن لا يقطعها أو يطيلها أو يخطىء فيها وإلا فقدت زهوتها .

وأهم موضوع للنكتة وأشده إثارة ما كان ابن الساعة وابن الموقف ، لأنه يشد الانتباه ويلفت النظر ، حيث تكون لها حلاوة الجديد ونداوته .

وتكون النكتة أحلى وقعاً إن أمسك ملقيها نفسه عن الضحك ورسم على وجهه علامات الجد .. ولكل نكتة أسلوباً لالقائها .

وتستحسن من الظرفاء ذوى الإحساس الفكاهى الذين يسمونهم العامة : « أبناء نكتة » !!

ويستحسن أن يكتفى الرجل بإلقاء نكتة واحدة فى المجلس الواحد ، وأن يكون حذراً لبيقاً .

وأقدر الناس على صوغ النكات من نشأوا فى بيئات مرحة ..

يقول أحد علماء الاجتماع : (إذا اجتمعت الأمم فى صقع « مكان منبسط من الأرض » تفتقت فيه أنواع الذكاء والمكر والكيد والدهاء ، وتناقضت مظاهر المجتمع واختلفت أزياؤه وألوانه ، وإذا تناقضت هذه المظاهر بعثت فى الناس نقائض فى المشاعر والأحاديث من رضا

وغضب وعجب وسخرية ، وما النكت إلا بنت هؤلاء[1] .

فن الكوميديا :

أصل كلمة كوميديا الكلمة اليونانية Komos ومعناها : المرح الصاخب ، وقد نشأت فى الاحتفالات والأعياد الاغريقية القديمة .

وهو فن يعتمد على الاستثارة الموجهة إلى المخ والجهاز العصبى السمبثاوى !

لهذا يعرفها علماء النفس بقولهم أنها : (فن الدغدغة العقلية) .

حيث أنها ضحك صادر عن تفكير يهتم بحماقات الإنسان ولا يهتم بجرائمه .

وما ينطبق على النكتة فى تحديد الذوق العام ينطبق على الكوميديا لأن الضحك – بصفة عامة – يعبر عن نوع الاستجابة للمؤثرات الخارجية ، لأن هذ الاستجابة بدورها تتوقف عليها الحالة المزاجية وسمات الشخصية التى تحدد الذوق الفكاهى والإحساس بالنكتة والإدراك الفكاهى للموقف الكوميدى .

وإذا كانت الكوميديا اليوم تأخذ صورة المسرحيات والأفلام والمسلسلات المضحكة والتى يسود مشاهدها المرح ، ويشاهدها الناس فى استرخاء ، ويقوم الممثلون بمحاكاة الناس فى ارتكابهم أخطائهم العادية فى حياتهم مما يدفع المشاهدون إلى الضحك .

وإذا كانت الكوميديا اليوم لها معاهد متخصصة لتعليمها .

فإننا نحن العرب سبقنا كل هذا فى تعليم الهزل (وهو الاسم القديم للكوميديا عند العرب) وتقديمه للناس !!

---

(١) ينطبق هذا الكلام على « مصر » التى وصفها ابن خلدون بقوله : (مصر بستان العالم ومحشر الأمم) وهو ما يفسر انتشار النكتة بين الناس فيها على اختلاف طبقاتهم .

والكوميديا قبل تطورها واكتسابها خصائصها الحالية وتنوعها وتعدد وظائفها ، وتعدد نطاقها ، بدأت عند العرب فى صورة مبادرات فردية للتعلم من معلمين معروفين ، كوسيلة لاكتساب الرزق !!

يقـول أبو العبر : (اختلفت إلى رجل يعلمنا الهزل ، فكان يقول لنا : أول ما ينبغى أن تتعلموه هو قلب الأشياء !! .. فكنا نقول إذا أصبح: كيف أمسيت ؟! وإذا أمسى : كيف أصبحت ؟! ، وإذا قال : تعال ، تأخرنا إلى خلف ! . . وكانت له أرزاق تعمل كتابتها كل سنة ، فعمل مرة وأنا معه الكتاب ، فلما فرغ من التوقيع وبقى الختم قال : أتربه وجئنى به[1] ، فصببت الماء عليه !! فقال : ويحك ، ما صنعت ؟! قلت : ما نحن فيه طول النهار من قلب الأشياء ، قال : والله لا تصحبنى بعد اليوم فأنت أستاذ الأستاذين)[2] .

والتحامق والتغفيل نوع من ابتكار المواقف الكوميدية الفكاهية الضاحكة ، وهو أن يقصد المتحامق الغلط فى الوسيلة التى توصله إلى المقصود الصحيح فى ذاته ،وكان هناك من يترزقون من التحامق يكتسبون به عيشهم ، حيث أن العرب من حبهم للضحك والفكاهة كانوا يضحكون من هؤلاء ويحسنون إليهم .

وكان من هؤلاء المتحامقين الشاعر الحمدونى ، فلامه بعض الناس يوماً فقال : (حماقة تعولنى خير من عقل أعوله) !! .. ثم أنشد :

عذلونى على الحماقة جهـلاً   وهى من عقلهم ألذ وأحلى !

حمقى اليوم قائم بعيالى ويمو   تون – إن تعاقلت – ألا !!

* * *

---

(١) كانوا قديما ينثرون التراب على الورق لتجفيف الحبر المكتوب .

(٢) ذيل زهر الآداب : ص ٦٦.

أنواع الكوميديا :

وقد تطورت الكوميديا فى العصر الحديث ، وتنوعت واتسعت آفاقها ، وظهرت مؤلفات كاملة تبحث فى دقائقها وجوانبها ، فالكوميديا ليست نوعاً واحداً ، وإنما هى أنواع متعددة من هذه الأنواع :

كوميديا الأمزجة : هى كوميديا تكون فيها شخصيات الرواية تحت تأثير مزاج خاص كشذوذ فى السلوك ، والهوس ، والشذوذ فى الخلقة . . . إلخ .

كوميديا الأخطاء : وتقوم على مشاهد مفاجئة تخلقها الصدفة أو الخطأ غير المقصود .

مثال : اللص الذى يهرب إلى حضن رجل الشرطة .

كوميديا العادات : وهو ما يعرف بـ « اللازمة » من أثر البيئة والتعليم وممارسة المهنة ، كتكرار لفظ معين ، أو التفنن فى أساليب الشح والبخل ، أو براعة الطفيلى فى دخول الولائم دون دعوة .

الكوميديا العاطفية : تستعرض فيها الفضائل الإنسانية والطبائع الخيرة التى يشيع ذكرها روح الرضا والراحة فى النفوس ، ويكون البطل فيها طيِّب القلب خيِّر يسعى لأداء واجبه ، ولكنه يكون هدفا للمحتالين والدجالين والأشرار ومصدر الفكاهة فيها ما تجره الفضيلة من متاعب وآلام على صاحبها .

فن الكاريكاتير :

الكاريكاتير هو فكاهة الخطوط والظلال ، أو بعبارة أخرى فكاهة الرسوم الساخرة .

والكاريكاتير كأحد فنون الضحك وأحد بواعثه يتسم باللانهائية ،

حيث أن موضوعاته تغطى كافة أوجه الحياة ، وكافة أنواع الحركة فيها .

والغالبية العظمى من الرسوم الضاحكة تكون بنت الساعة وبنت الأحداث ، والقليل منها نسبياً هى رسوم ضاحكة دائمة .

وقد يرجع السبب فى هذا إلى ارتباط الكاريكاتير فى العصر الحديث بالصحافة .

والكاريكاتير نشأ منذ القدم ، حيث رسوم كاريكاتيرية على جدران المعابد الفرعونية .

من هذه الرسوم :

رسم لغزال يجلس على كرسى يلاعب أسداً يجلس أمامه لعبة الشطرنج ، والغزال يحرك قطعة الشطرنج « كش ملك » !! والأسد ينظر إليه بغضب !!

وكذلك استخدام اليونانيون الكاريكاتير فى فنونهم ، وازدهر جداً فى عصر الرومان .

الرسم الكاريكاتيرى والأصل :

الكاريكاتير ليس رؤية فوتوغرافية للواقع ، وإنما يعتمد ـ بصفة أساسية ـ على رؤية الرسام للعوج الموجود فى الطبيعة على سبيل التحفز للظهور وإبرازه داخل الرسم حتى أن الناظر لا يرى أثراً للمبالغة فى إظهار هذا العوج .

وبعبارة أخرى : الرسم الكاريكاتيرى هو فن يشوه نماذج ما كانت لتتشوه من تلقاء ذاتها إلا إذا ذهب العوج الموجود فيها إلى مداه .

أى أنه استشفاف لما وراء الانسجام الظاهرى من تشوه فى الطبيعة على سبيل الشروع (مقدمة تشوه لم يكتمل) حتى أن الصورة الكاريكاتيرية قد تبدو أكثر شبها بصاحبها من الصورة الفوتوغرافية !! إذا كان الرسام بارعاً .

فنون أخرى ضاحكة :

الفنون الضاحكة الثلاثة التى عرضناها هى أكثر هذه الفنون شهرة وذيوعاً وأهمية .

غير أن هناك فنوناً كثيرة ضاحكة كفن المونولوج وهو نوع من النقد الاجتماعى .

والاسكتش وهو مشهد تمثيلى قصير ضاحك أقرب للنكتة .

وأبواب الأدب الفكاهى بأنواعه : من المقالة الساخرة إلى شعر السخرية والهجاء إلى القصة القصيرة فى المقامات إلى الرواية الضاحكة كرسالة الغفران للمعرى ...

وهناك أيضا فن خيال الظل ، وفن الأراجوز ، والرسوم المتحركة (الكرتون) ، وفن العرائس ...

ويجب ألا نختم الحديث عن بواعث الضحك دون الحديث عن أمثالنا الشعبية وما فيها من مفارقات ضاحكة ترسم على الشفاة الابتسام وتدخل السرور على النفوس ، وإليكم أمثلة من هذه الأمثال مع العلم أننى تجنبت بعض هذه الأمثال الضاحكة لأن بها من ألفاظ خارجة !!

- **اللى مراته مفرفشة . . يرجع من العشا !**
- **البقرة بتولد والطور بيحزق ليه ؟! قال : أهو تحميل جمايل !**

ـ كلب أبيض وكلب أسود .. قال : كلهم ولاد كلب !!

يضرب فى أهمية الجوهر وعدم الاهتمام بالشكل ..

ـ أجرب ويسلم بالأحضان .

يضرب فى عدم تناسب التصرف مع الشخص ..

ـ أقرع ودقنه طويلة !!

ـ عمشة وعاملة كحلة !!

ويضربان فى عدم التناسب وعدم التوافق ..

ـ اللى ما تاكل فى فرحة كل فى عزاه .

يضرب فى البخيل ..

ـ إكمن أبوك عسكرى داير تهز وسطك !

لمن يتعاظم على الناس مستغلاً مركز أقاربه ..

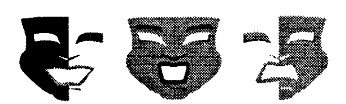
ـ أقرع بياكل حلاوة . . قال : بفلوسه !

ـ زى المزين يضحك على الأقرع بطرقعة المقص !

لمن يبيع الوهم للآخرين :

ـ قيدها فى بيت حديد وجوزها فى بيت السعيد .

فالزوج السعيد يسعد زوجته ، وهو يوافق المثل : من جاور السعيد يسعد !!





الإسلام دين الفطرة :

والإسلام يطابق الفطرة الإنسانية ويأخذ بها نحو السماء .

والضحك - كما قلنا - من الفطر الإنسانية التى فطر الله الناس عليها .

وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه فى قوله تعالى :

﴿ **وأنه هو أضحك وأبكى** ﴾(1) .

يقول الجاحظ : (إن الله تعالى لا يضيف إلى نفسه القبيح ، ولا يمن على نفسه بالنقص) .

فالضحك فى ذاته ليس قبيحاً وليس نقصاً ، لأن الضحك يقابل البكاء ، كما أن الموت يقابل الحياة .

يقول الله تعالى : ﴿ **وأنه هو أمات وأحيا** ﴾(2) .

وقد ورد لفظ الضحك عشر مرات فى القرآن الكريم بتصريفاته المختلفة وورد لفظ البِشْر بمعنى السرور الحقيقى والخبر المفرج بالتصرفات المختلفة سبعة وثمانينَ مرة (غير مرات السخرية بتبشير الكافرين بالعذاب الأليم) !!

(1 ، 2) سورة النجم : الآية ٤٣ ، ٤٤

وورد لفظ الفرح بمعنى السرور فى الدنيا : ﴿ ... **ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ..** ﴾[1] .

كما أتى بمعنى البطر والعجب والخيلاء مرات .

أما السرور والضحك فهو جزاء أهل الجنة :

يقول الله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة** ﴾[2] .

﴿ **فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً** ﴾[3] .

وأتت السنة المطهرة وهى فعل النبى ﷺ وقوله وتقريره مثالاً عملياً لنظرة الإسلام للضحك .

فيروى عنه ﷺ أنه كان يضحك حتى تبدو نواجذه .

مثال : كان صهيب بن سنان مزاحاً فقال له النبى ﷺ مازحاً : « أتأكل تمراً وبك رمد ؟! فقال :صهيب : ممازحاً النبى ﷺ : إنما أمضغ على الناحية الأخرى !! فتبسم رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه » .

ويروى عنه ﷺ أنه كان يمزح ولا يقولا إلا حقا .

مثال : ومن مزاحة ﷺ قوله لرجل طلب أن يعطيه جملاً يحمله : « نحن حاملوك على ولد ناقة » !! . . يريد البعير .

وكل الفكاهات المروية عنه ﷺ من التورية والكناية .

وروى عنه ﷺ أنه حث على ترويح القلوب فى قوله : « روحوا

(١) سورة الروم : الآيتان ٤ ـ ٥

(٢) سورة عبس : الآيتان ٣٨ ـ ٣٩

(٣) سورة الإنسان : الآية ١١

القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت » والترويح يكون بالمباح .

وروى عنه ﷺ أنه كان طلق الوجه دائم التبسم ، حتى أنه كان من الصحابة من لم يره ﷺ إلا مبتسما !! وكان يقول : « إن أحبكم إليّ الطلق البسام » .

وطلاقة الوجه والبشر والتبسم والضحك فى وجه الناس من علامات حسن الخلق ، فروى عنه ﷺ قوله : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة » !!

ولم يكن ﷺ طلق الوجه متبسما مازحاً مع صحابته فقط ، وإنما يروى عنه أنه إذا خلا إلى أهله كان أفكه الناس !!

ولهذا كان نهج الصحابة فى حياته ﷺ وبعد مماته هو المزاح والمفاكهة ، حتى أنهم أحياناً كانوا يتقاذفون بقشر البطيخ .

وروى عن الإمام على رضى الله عنه قوله : « أجموا هذه القلوب ، والتمسوا لها طرف الحكمة ، فإنها تمل كما تمل الأبدان » .

وكانت السيدة عائشة تمازح السيدة سودة رضى الله عنهما فلطخت وجهها بحلوى ، فلما رآهما رسول الله ﷺ وضع الحلوى فى يد السيدة سودة ولطخ بها وجه عائشة وهم يتضاحكون .

ولهذا فقد رأى الفقهاء أن المزاح سنة ، فقد سئل العالم الفقيه سفيان بن عيينة : المزاح هجنة ؟ قال : لا ، بل سنة لقوله ﷺ : « إنى لأمزح ولا أقول إلا الحق »[1] .

وسار التابعين على نهج الصحابة ونهج النبى ﷺ .

---

(١) نهاية الأدب : حـ ٤ ص ٢

روى عن عطاء بن السائب قوله : (كان سعيد بن جبير لا يقص علينا إلا أبكانا بوعظه ، ولا يقوم من مجلسنا حتى يضحكنا بمزحه) .

أما فى العصور المتأخرة فلم تزل روح المزاح الصحيح بحدوده التى رسمها الإسلام وحثه على طلاقة الوجه موجودة ومسجلة فى أمثال الشعوب الإسلامية .

من هذه الأمثال :

- بشاشة الوجه . . عطية ثانية .
- بيع الجمال واشترى خِفَّه .

بمعنى : خفة الدم مقدمة على الشكل .

- الهناوة غلبت الغناوة .

فى تفضيل السعادة والفرح على المال والثراء:

- الوجه البشوش يزكى صاحبه .

وهكذا لم تخرج شعوبنا الإسلامية عن الخط الأول الذى رسمه الإسلام فى القرآن الكريم والسنة المطهرة فى أمثالها الشعبية إلى حد بعيد لكن صاحب ممارستها فى العصور المتأخرة بعض التجاوزات الناتجة عن التجهيل والمكر .

ومن هنا وجب علينا معرفة هذه الحدود .

حدود الضحك :

إذا كان الضحك فى الإسلام من الأمور الفاضلة إذا مورس فى حدود ، فإنه قد يصبح نقصاً إذا تجاوز هذه الحدود .

يقول الجاحظ : (وللمزح موضع ، وله مقدار ، متى جاوزهما أحد وقصد عنهما أحد ، صار الفاضل خطلا[1])[2] .

ومن الحدود التي وضعها الإسلام للضحك :

١ ـ أنه نهى عن السخرية من المؤمنين مطلقا ، ولا من جماعة الناس .

يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** ﴾[3] .

والآية أيضا تنهى عن إطلاق الأسماء الكريهة لجلب الضحك ، وكذلك نهى عن اللمز .

٢ ـ أنه نهى عن المرح والفرح الذى يملأ القلب كبراً وعجباً .

يقول الله تعالى : ﴿ **ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا** ﴾[4] .

﴿ **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾[5] .

﴿ . . . **كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون** ﴾[6] .

---

(١) الخطل : النقص والخطأ .

(٢) البخلاء : حـ ١ ص ٢٩

(٣) سورة الحجرات : الآية ١١

(٤) سورة الإسراء : الآية ٣٧

(٥) سورة لقمان : الآية ١٨

(٦) سورة غافر : الآية ٧٤ ، ٧٥

٣ ـ نهى الإسلام عن التماجن لإضحاك الناس .

يقول رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بأساً ليضحك بها القوم وإنه ليقع بها أبعد من السماء » .

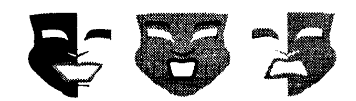
٤ ـ أنه حذر من كثرة الضحك ، وذلك حفاظاً على عافية القلب وحيويته ، حتى لا يصاب بالقسوة أو يموت والعياذ بالله .

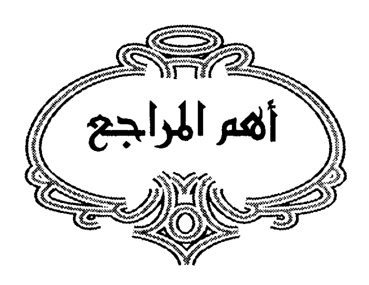
يقول رسول الله ﷺ : « من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن كثر مزاحه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه » .

لهذا كان يحذر صحابته رضوان الله عليهم ويوصيهم :

« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » .

وهذا ينصرف فقط على ضحك الفكاهة والمزاح ، أما طلاقة الوجه والتبسم والبشاشة والبشر فهى مما يثاب عليه المسلم إذا كانت مع المؤمنين .





أهم المراجع

١ ـ **القرآن الكريم** .

٢ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن** .

٣ ـ **أخبار جحا** : عبد الستار أحمد فراج .

٤ ـ **الأمثال الشعبية** : أحمد تيمور باشا .

٥ ـ **الأمثال الشعبية فى حياتنا اليومية** : وفاء الخناجرى .

٦ ـ **سيكلوجية الضحك** : أحمد عطية الله .

٧ ـ **الضحك** : هنرى برجسون .

٨ ـ **الضحك فلسفة وفن** : جلال العشرى .

٩ ـ **الضحك وفن الإضحاك** : الحسينى على فرعون .

١٠ ـ **الفكاهة فى الأدب ج١** : د / أحمد محمد الحوفى .

١١ ـ **الفكاهة فى مصر** : د / شوقى ضيف .

١٢ ـ **الكوميديا والتراجيديا** : مولوين ميرشنت – كليفورد ليتش ترجمة د / على أحمد محمود .

١٣ ـ **النكتة المصرية** : عبد العزيز سيد الأهل .

كتب للمؤلف

١ ـ نشرة الخير « تبسيط أحكام الزكاة » .

٢ ـ الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوي في الحكم والسياسة : طبعان .

٣ ـ شخصية المسلمة « بداية مفيدة لكل مسلمة لتحيا سعيدة » : طبعة أولى .

٤ ـ لماذا الإخوان المسلمون : صودر .

٥ ـ الحب بين الوهم والحقيقة : تحت الطبع .

٦ ـ فى القلب والنفس والحب : منهج إسلامى فى علاج الأمراض النفسية وعلاجها .

مراجعة كتاب« الحج » الترجمة العربية تحت عنوان « الفريضة الخامسة » للدكتور علي شريعتي » طبعة ثانية .

فهرس الكتاب



فهرس الموضوعات

الموضـــــوع **الصفحة**

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١١٩٣٦/ ١٩٩٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـ ١١٢٣١